وهم مفعمون بغريزة الوجود وشهوة الحياة تفيض في داخلهم ، والموت الذي يتربص بهم من كل جانب ينقض على حياتهم في ايام زهوتهم نفسها . لقد انتقل هذا الفتى من رعاية الوالدين وحماية المعلم في المدرسة ازاء كل ما يتربص به الى تلك المواجهة المريرة والمريعة للموت في كل لحظة ، والى الاحساس بالعزلة المميتة التي تحل بالانسان عادة في ميدان القتال ، وهو الامر الذي جعل ابطال يزهار يعانون من الانسحاق والرعب والشعور بالعجز .

لا تذهبوا للحروب

بلا حول ولا قوة للتغلب على الاحساس بالاهوال المريعة وعلى الخوف من الموت ، تطرح بكل حدة وبكل تجرد مسألة الحرب بأسرها ، ثورة حادة وعنيفة على نفس ضرورة ممارسة القتل والتعرض للقتل ، وكذلك صراع مؤلم وعاجز ازاء هذه الثورة . « انني أكره الحرب ، الحروب — كل الحروب أيا كانت — كل الحروب قذارة . انني أقول لكم . لا تذهبوا ، أيها الشبان ، الى الحروب . اسمعوا لي . لا تبينوا لي الحرب وكأنها ليست قذارة .. أنا أقول لكم . (وحينما يخرجون للدفاع عن المنزل — هل هي كذلك حينذاك ؟) لا . اذا كان الامر كذلك ، بالذات ، من يدري ؟ ربما أيضا كذلك حينذاك . ليس لانهم يدافعون ، بل لانهم يقتلون ... أوه ، لست أدري . انا في حيرة . خذوا الكل ، كل شيء . وفقط دعوني أنام ... » (ص ٢٩٣ — ٢٩٤) . وفي مكان اخر تبدو معالم الثورة على الحرب والموت والدمار مهما كانت المثالية التي من أجلها يجري هذا : «لا تثق : ليس طيبا ان تموت وليس صحيحا . ليس بارادتك ، على أي حال . استمع الي : ليس هناك معنى ، على الاطلاق ليس هناك معنى .. استمع لي ،ويجب ان تكون ، اخيرا ، شجاعا ومستقيما ، وان تقول ذلك بصوت عال . ليست هناك اية مثالية عن طريق الموت ... يجب الا تهرب منه في المعركة — ولكنه ليس فيه عدالة لدرجة البطولة او اي فخر خاص . انني اكفر ، اكفر بكل هذا . أكفر بتمجيد الموتى . انني أعرف فقط الخسائر ، والاباء ، وصديقاتهم ، وعالمهم الذي خسروه . يا للاسف لانهم ماتوا . أيها الشبان ، قوموا وانسفوا كل علم يدعو الى الموت . اسحقوا كل من ينادي للموت ، باسم أي نبوءة كانت ، في مصحة المجانين او في السجن — ان الحرب هي مهنة جزارة ملوثة — جزار ملوث بدم انسان . من المخجل ان تكون جبانا قذرا . ولكن كذلك محظور ان تكذب على الموت ، كما لو لم يكن هناك شيء . اسألوا الامهات . انهن يعرفن . هن يقلن لكم . فوق اي كبح للجماح ، ووجوه جامدة ولا بكاء . اسألوهن . ولكن أيضا حينئذ ... والحقيقة هي ، انه لا مناص أحيانا من الخروج للقتال . وممنوع أن تخفي حياتك ، كما لو كانت هي الشيء الغالي والاساسي في العالم ... ممنوع . واذا لم يكونوا هم ، ماذا ؟ وهل اله ابراهيم الذي امر بالتضحيه باسحاق ، هو الاساس ؟ مريع ، لدرجة انه من المستحيل ... وممنوع ان ننسى ، وممنوع ان نعتاد ، ومضطرون لوضع حد لكل هذا ! للسير المنتصب ، الضاحك ، الى الموت ، كما لو كان هذا مجرد رياضة .. او قل « ختان » هنا — انه مشاركة في جريمة ، أساس كل بلاء ... ممنوع ان نعيش في « ختان » . ممنوع ان نحارب « الختان » . ممنوع ان نموت في « الختان » ... هناك ! احصاء كامل لمتوسط الضحايا التي لا يمكن تجنبها » . (٣٠٩ — ٣١٠) .

وتصل هذه النغمة ذروتها في التمرد على كل ما هو مقدس يمكن ان يضحى بالحياة من أجله : « وما كتبته « طوبى للكبريت الذي احترق وأشعل اللهب » ، انني أعرف ، ولكني لا احب ، لان هذا اثم . أن أكون كبريتا يحترق . انني اثور على هذا . من المستحيل ان يكون الذهاب الى الموت هو حسن حظ . سعادة لمن ؟ » (٤٠٥) .